

صاحب الجلالة يوجه خطابا
إلى الشعب المغربي بخصوص أزمة الخليج

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خطابا إلى الشعب المغربي استعرض فيه الظروف المؤلمة التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية منذ اندلاع أزمة الخليج، والخطوات التي أقدم عليها المغرب من أجل إيجاد حل لهذه الأزمة

وقد دعا جلالة الملك الشعب المغربي إلى تتبع ما يجرى حاليا في الخليج العربي بدقة وحيطة وخشوع . . . وعدم التحيز سياسيا لهذا النظام أو ذاك .

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي :

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز،

إن الظروف التي أخاطبك فيها هي ظروف أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها ظروف تاريخيا مؤلمة وثقيلة على التحمل. أقول تاريخيا، لأنني لم أذكر في ذاكرة جيلي ولا ذاكرة الأجيال السابقة أن حربا قامت بين أشقاء عرب. وتلك الحرب لن تكون الحرب الكلاسيكية المعهودة، بل ستكون حربا مدمرة قاسية لا ترحم أحدا، وستمتد أمواجها وأصداؤها ودوي مدافعها إلى أقصى حدود المعمور، ذلك لأن تبعات هذه الحرب ــ جنبنا الله إياها إن هي وقعت ــ ستكون تبعات عميقة، وأقل ما يمكن أن يقال عنها أنها لن تكون ذات أمد غير قصير على الدول العربية وعلى الأمة الإسلامية وعلى المجتمع العالمي من الناحية الإقتصادية. ولكن لنكتف الآن بالزاوية العربية والإسلامية. فكما قلت لكم، هذه الحرب لم نعتد أن نسمع دويها ولم تألف آذاننا حتى أن نسمع بها أو بأخبارها، والله سبحانه وتعالى نسأل أن يقينا شرها ووقوعها.

شعبي العزيز، لن أطيل عليك في هذا الخطاب، لأن الوقت وقت تفكير ووقت توجه إلى الله سبحانه وتعالى ليلطف بنا وليجعل أمته العربية والإسلامية، تلك الأمة التي قال فيها إنها «خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله».

لن أطيل عليك ولكن لا بد من أن نذكر ببعض معالم الستة أشهر الماضية حتى نعلم كلنا كيف سرنا وكيف نسير وإلى أين نسير.

فبمجرد ما رجعت من المؤتمر الفرنسي الإفريقي في لابول يوم 30 أو 31 يوليوز طلبت مني سفارة العراق في الرباط أن أقتبل مبعوثا خاصا للرئيس صدام حسين وهو وزير النقل. فاقتبلته يوم 31 يوليوز، وجاء يشكو باسم الرئيس والحكومة العراقية من تصرفات الكويت وكأنه يشرح لنا خصومة قوية وعميقة ولكن لا تخرج عن الإطار العادي للخصومات حتى بين الأشقاء. فاستمعنا له ولما أوضحه وودعناه بعبارة «يكون خير إن شاء الله وإذا كانت هناك أي خدمة يمكن للمغرب أن يقدمها فهو مستعد».

ولم تمر 48 ساعة حتى سمعنا أن العراق اجتاز الحدود العراقية الكويتية واحتل طرفا كبيرا من دولة الكويت، في ذلك الصباح وفي الليل كان قد احتل الكويت كلها.

وقد وقفنا الموقف الذي تعلمه. فنحن قبل كل شيء حماة المشروعية تلك، المشروعية الدولية التي



دونها ما كان للشعوب الآسيوية والإفريقية أن تتحرر نهائيا من قيود الظلم والإستعمار. نعم تحررنا بجهادنا ومقاومتنا كجميع الدول الأخرى في إفريقيا وآسيا، ولكن تحررنا ووجدنا من يساندنا ومن يعترف بسيادتنا لأننا تحررنا في إطار المشروعية الدولية.

وبعد ذلك ـ وأنا هنا أتحدث عن المغرب فقط ولا أتحدث عن الدول الأخرى ـ حينما طرحت مسألة وحدة التراب المغربي لم ندخل المسيرة هكذا، بل انتظرنا حتى قالت المشروعية الدولية كلمتها. فكانت كلمة المشروعية الدولية كلمة الفصل واعترفت بالبيعة التي كانت في عنق الشعب الصحراوي لملوك المغرب، وآنذاك فقط لا قبل ولا مع، آنذاك وبعد هذا التصريح بالمشروعية قلنا: اللهم المسيرة.

وهكذا سنبقى إن شاء الله شعبي العزيز، لأنه لا يمكن لأية دولة تحترم نفسها أن تتبجح وتقول أنا دولة قانون داخليا إذا هي لم تكن دولة قانون في المعاملات الدولية.

فبمجرد ما علمنا بالنبأ أعلنا موقفنا رسميا، وكنا أول دولة عربية على الأقل وإسلامية أعلنت موقفها ونددت باجتياح الأراضي الكويتية، وذلك احتراما لمبادئنا وإعادة للتاريخ القريب، لأنه في سنة 1961 قمنا بنفس الشيء لما كان العراق بقيادة الرئيس قاسم قد هدد بغزو الكويت واحتلالها.

وبعد بضعة أيام حينما شعرنا بقلق الدول الشقيقة في الخليج، وبالأخص الدولة الشقيقة الحميمة المملكة العربية السعودية التي وجدت نفسها آنذاك على أبواب الحرب على حدودها المشتركة بينها وبين الكويت، شعرنا بقلقهم ومخاوفهم، آنذاك وأرسلنا في الحين إلى المملكة العربية السعودية وإلى الإمارات فرقا من القوات المسلحة الملكية لا للغزو أو الهجوم ولكن للدفاع عن شقيقتنا، ولنبرهن لصديقاتنا الدول الخليجية أننا معها وبجانبها لأنها على حق من الناحية القانونية الدولية.

ومع هذا كله، كان في أقوالنا وأفعالنا أكثر ما يمكن من الإحترام للشعب العراقي وللمسؤولين العراقيين ولرئيس الدولة العراقية صديقنا، ولازلت أقول صديقنا وأخانا السيد صدام حسين، الشيء الذي جعلنا نتبادل الرسل والرسائل ونتبادل الآراء. وإلى حدود الساعة الثالثة من عشية اليوم طلبت الرئيس صدام بالهاتف فوجدته يتفقد بعض المواقع العسكرية خارج القصر الجمهوري. وكلمني صديقنا الذي أحترمه وأحبه نائب الرئيس السيد عزت إبراهيم الذي أعرفه منذ مدة طويلة فقلت له: «هل من خدمة. هل من حاجة يمكن للمغرب ونحن على أبواب الأجل المضروب أن يقوم بها لنتجنب هذه المصيبة» قال لي: لا. وكان صوته صوت إنسان صديق ومحب داعيا لي ولبلدي ولشعبي بالخير والحفظ.

وودعته كذلك قائلا: «اصبروا فإن قلوبنا معكم». من المعلوم أن قلوبنا مع العراقيين وإن كان تفكيرنا ورؤيتنا لما وقع ضدهم، ولكن قلوبنا معهم فهم أشقاء وإخوة وعرب ومسلمون وستنزل بساحتهم حرب ضروس. فمن قال أنه سيتفرج على ما سيجرى في العراق وهو مسلم وعربي أظن أنه ليس بمسلم ولا بعربي.

شعبي العزيز. كنا نود كما قلنا في خطبنا وفي كل مناسبة أتيحت لنا أن يستمع العراق إلى نصائحنا أو على الأقل إلى أفكارنا، حيث قلنا أن الربط الزمني بين قضية الكويت وبين احتلال إسرائيل هو ربط غير سياسي لأنه لا يمكن حتى ماديا أن يربط هذا بذاك.

ثانيا: أن يربط حل قضية الكويت التي هي احتلال بقضية فلسطين التي هي أكثر من احتلال، بل هي تقريبا مسخ للشعب العربي الفلسطيني، أظن أنهما ليسا في كفة واحدة.

أخيرا يقول مثل عربي عامي عندنا «الحمية كتغلب السبع»، فلو طلب منا شقيقنا الرئيس صدام حسين أن نتدخل كلنا نحن الدول العربية لحفظ ماءوجهه وللنظر في مطالبه إزاء الكويت لتمكنا من حل المشكلة بالمذاكرة والمفاوضة لكن مع الأسف لم يحصل أي شيء من ذلك.

هل ستكون الحرب ابتداء من يوم غد أم لا؟ الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم.

لكن ما يلزمنا أن نعرفه أنه إذا وقعت الحرب ـ وهذا بالطبع ما لا نترجاه ونطلب من الله من صميم القلب ألا تقع، علينا أن نتخذ منها عبرة أولا لأن الصف العربي تمزق وانشق. فعلينا أن نفكر من الآن كيف نداوي الجسد العربي حتى يلتحم وحتى تعود إليه وحدته في أقرب الآجال. ونحن نرى إذا استخلصنا من هنا حكمة نستخلص نحن في المغرب الذين لم تكن لنا لا ناقة ولا جمل لا في الأولى ولا في الثانية، أن ما وقع مع الأسف هو أن مصر طردت من الجامعة العربية في بغداد فحاولت أن تطرد العراق في القاهرة. هذه هي الحقيقة ولا ينبغي أن نخفيها.

فلو ـ وأنا لا أقول من المسؤول ـ عولجت الأمور في مؤتمر القمة في القاهرة بحكمة وأناة وصبر أكبر من طرف الجميع بمن فيهم المغرب، الذي كان حاضرا ولو لم أكن أنا شخصيا حاضرا، لا أظن أننا سنكون قد وصلنا إلى هذه الحالة.

أما أن نتعامل في معاملاتنا كأننا في مباراة رياضية (إصابة في كل شبكة).. ويقال لقد طردتموني في بغداد وأنا سأنتقم منكم اليوم في القاهرة فهذه نتيجة ذلك.

المهم هو أن التاريخ كما قال مفكر لا يصحح كما يصحح واجب مدرسي مكتوب.

فعلينا إذن كما قلت لك شعبي العزيز، أن نتتبع الأمور والأحداث بدقة وبحيطة وبخشوع لأن أولادنا قد يموتون هناك. فأبنائي وإخوتك أنت وأشقاؤك المغاربة ربما ستصلهم موجة الموت ولو أنهم لن يكونوا في الصف الأول، لأنه كما قلت لك هم هناك فقط للدفاع وهم مرابطون في الصفانية بعيدا عن الحدود السعودية الكويتية.

فهم لن يكونوا ضمن المهاجمين حتى لا يقال أن رصاصة مغربية قتلت عراقيا أو رصاصة عراقية قتلت مغربيا. ولكن كل شيء محتمل.

ولهذا يجب علينا أن نفكر فيهم بخشوع. وأقول لهم هنا: كملك البلاد وكقائد أعلى للقوات المسلحة الملكية أن قلبي كله معهم وأننا كافة أفراد الشعب المغربي من آباء وأمهات وإخوة وأخوات ندعو لهم بالنجاة والسلامة.

ولكن ليس المغاربة وحدهم هناك. فهناك قوات دول عربية أخرى، بحيث يوجد مصريون وسوريون ومن خارج دول الخليج، كما أن هناك قوات دول إسلامية من باكستان والسينغال وبانغلاديش وغيرها، ويمكن أن أكون قد نسيت بعض الدول لأن تعدادي لا يحدد عدد أو أصناف القوات المشاركة.

فعلينا إذن أن نتتبع الأمر بخشوع واحترام، لأن الموت وفي ظروف مثل هذه يقتضي الإحترام والخشوع، وأعرفك شعبي العزيز معرفة جيدة، فحساسيتك في الحقيقة مرهفة جدا بالنسبة لغيرتك العربية والدينية. فسوف تريد مما لا شك فيه أن تعرب عن مشاعرك. فأولا لديك الصحف والإذاعة. فمن أراد أن يعبر بقصيدة أو بكلمة فالإذاعة والتلفزة مفتوحة في وجهه. ومن أراد أن يعبر جماعة عن استنكاره للحرب بين الإخوة التي تدور رحاها في الشرق الأوسط دون أن يتحيز لهذا أو ذاك فله ذلك. لكن من غير المعقول أن نأتي نحن في المغرب حتى في الرثاء وحتى في حزننا ونزيد على انشقاق العرب انشقاقا حتى في كيفية البكاء على الأموات. فيكفينا ما نحن فيه. فلما يموت العربي المسلم فإن موته سواء كان ظالما أو مظلوما يعتبر كارثة للمجموعة العربية والأمة الإسلامية بصفة عامة.

فمن غير المعقول أن نشمت في هذا العربي ونقول لا رحمه الله، ونترحم على الآخر ونقول هذا المسكين شهيد. إن هذا ليس من عوائدنا وثانيا لم يعطينا أحد الحق في أن نقول هذا ظالم وهذا مظلوم.

وقد أعطانا الله عينين إذا أردنا أن نبكي، فلنبك على الجميع ولنبك على أنفسنا، لأن الحالة التي نحن عليها اليوم في نظر العالم وحتى في نظر أبنائنا وأحفادنا ليست مشرفة للأسرة العربية. فلنبك على أنفسنا وعلى الأموات العرب والمسلمين، فسواء هؤلاء أو أولئك الماسكين بالأسلحة ذهبوا استجابة لأمر



أعطي لهم ولم يختاروا ذلك . فأولئك الذين دخلوا الكويت فعلوا ذلك تنفيذا لأوامر رؤسائهم ولم يتطوعوا للقيام به، ومن سيدافعون على حدود بلدانهم من الواجب عليهم القيام بذلك . ولذلك لا يجب التحيز سياسيا لهذا النظام أو ذاك . لنبك على أنفسنا وعلى حالتنا .

أما فيما يخص الأمن، فبمقتضى الدستور هيأنا ظهيرا شريفا لم نضع عليه طابعنا إلى الآن، و نرجو ألا نضطر لذلك .

وفي هذا الصدد قررنا إذا وقعت ولو إشارة واحدة وليس إخلالا أن نعلن حالة الحصار التي يخولها لنا الدستور والقانون وبإمكاننا أن نقوم بذلك حتى لو لم يكن هناك دستور لأننا مسؤولين ـ بصفتنا أميرا للمؤمنين في الدستور الإسلامي الأصيل العريق الذي ورثه المسلمون كلهم، عرب كانوا أم غير عرب، عن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ـ عن حماية الأفراد والجماعة .

الفتنة أشد من القتل «إنما جزاء الذين يحاربون الله» ولن أكمل الآية .

وفي صباح هذا اليوم استقبلت زعماء الأحزاب السياسية واتفقنا على أنه بإمكان كل حزب تنظيم مظاهرته . كل حزب في مدينة . فلا يجب أن ينظم أكثر من حزب مظاهرة في نفس المدينة . فكل حزب سيختار المدينة التي يتظاهر بها ويتحمل مسؤوليته باتصال مع السلطة بالطبع . وتكون أطر الحزب مسؤولة مباشرة عن تلك المظاهرة مع العلم أن السلطة مسؤولة دائما عن الأمة . وحين أقول المظاهرة لا أقصد التظاهر في الشارع بل التجمع . فستكون هذه الأطر إذن مسؤولة عن الأمن لدخول مكان التجمع والخروج منه في أمن . وقد التزم لي هؤلاء الزعماء بأنهم سيتحملون مسؤولياتهم السياسية والروحية . إن لكل واحد حرية التعبير لأن بلدنا بلد التعددية الحزبية أي أن كل حزب من حقه أن يعبر عن رأيه في خطبه وكلماته ويقول هذا معه الحق وهذا ليس معه الحق . المهم أن لا يتلفظوا بألفاظ نابية في حق الحكام العرب سواء كانوا من هذه الجهة أو تلك . وهم مسؤولون عن الأمن قبل التجمع وأثناء التجمع وبعد التجمع . وقد وافق زعماء الأحزاب على ذلك وسيكون ذلك بالإتفاق مع السلطة المحلية بالطبع . فسيتفقون معها على مكان التجمع وعلى وقت ابتدائه ووقت انتهائه .

ومن أراد أن يتخذ هذه التجمعات فرصة للقيام بأعمال شغب أو خارج هذه التجمعات كأن يقول للناس اللهم إن هذا منكر أو لنقرأ اللطيف أو يدعو إلى الإعتصام بالمسجد أو غير ذلك، أقول لكم بأن النظر في هذه القضايا سيكون من اختصاص محاكم عسكرية في حالة الحصار، لأن الحرب العراقية الكويتية إذا وقعت ـ لا قدر الله ـ ستنتهي في ظرف أسبوع أو اثني عشر يوما حسب ما أظن، ولكن لا ينبغي أن يؤدي المغرب لمدة شهور وشهور ثمن أعمال ثلاثة أو أربعة حمقى جروا الناس إلى ذلك .

أنا شخصيا أعرفك شعبي العزيز بأنك تتألم ومجروح ومكلوم، ولكن قبل كل شيء أنت محب للسلام ومحب للأمن ومحب للطمأنينة، فكن على يقين من أنني بعد الله سبحانه وتعالى وأرجو منه التوفيق والسداد، لن أخيب أملك ورجاءك في السلم وفي الأمن وفي الطمأنينة . ولكن هذا يقتضي كذلك أن نكون جميعا مع قوات الأمن حماة للأمن وأعداء وخصوما للفتن، لنظهر في آن واحد أننا نرى مصلحة إخواننا ومصلحة أنفسنا، ولنكون في مستوى المسؤولية المقبلة التي ستلقى على كاهل كل دولة من الدول العربية، ألا وهي رأب الصدع وجمع الشمل والتأليف بين القلوب التي تفرقت والتي أدميت من جراء هذه الحرب الملعونة . فمرة أخرى شعبي العزيز، لنترك الحماس ولنقف أمام ما يجري حولنا بخشوع وأسى وأسف واحترام للأرواح التي لا قدر الله ستزهق .

ولنتخذها درسا ولتكن لنا عبرة حتى نتجنب في المستقبل النزوات والإنفعالات العصبية، ولكي لا نغلب الحساسيات على العقل حتى لا نصبح في القرن المقبل في مشكلة مثل هذه المشكلة التي نعيشها، ولنتشبث بالنظام وبالأمن ولنكن كلنا حراس هذه الطمأنينة . ومن أراد أن يخرج عن الجادة فإن



للمغرب في نصوصه وقوانينه أسلحة قانونية شتى وكثيرة للضرب على يد كل من أراد ألا يحترم ما نعيشه، وكل من أراد أن ينتهز هذه الفرصة كي يخلق البلبلة سنعتبره لصا ونهابا وكأنه دخل المسجد بحذائه أو كأنه نبش القبور، لأنه عوض أن يحترم ما وقع استغل المناسبة لكي يقوم بالنهب والسرقة وإضرام النار وإشعال الفتنة. والحالة هذه أننا نطلب من الله سبحانه وتعالى من صميم القلب أن يطفىء هذه النار وأن يجنبنا هذه الحرب وأن يجعل كلمتي لا مسبب ولا داعي لها. فلنقل ما كان يقوله أجدادنا ولازلنا نقوله ضارعين إلى الله سبحانه وتعالى: «الطف بنا يا رب في ما جرت به المقادر» والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

27 جمادى الثانية 1411 - 15 يناير 1991